دراسةُ الأساليبِ البلاغيّةِ في دعاءِ كميل

سيد احمد موسوي پناه (طالب دكتوراه /الكاتب المسؤول)
محمود مسلمي (طالب دكتوراه)
أ.م.د. محمد دزفولي
جامعة طهران/ فرع اللّغة العربيّة وآدابها

A study of Rhetorical Style in Kumail prayer

S.Ahmad Mousavi Panah (PhD candidate, Corresponding Author)
Mahmood Moslemi (PhD candidate)
Ass.Prof.Dr. Muhammad Dezfouli
University of Tehran\ Department of Arabic Language & Literature
m.moslemi70@gmail.com

Abstract

Figures of meaning have played a significant role in Arabic literature since old ages until today. In the history of Arabic literature, litterateurs and belletrists have tried to beatify their works and styles to impress their recipients. One of these styles, which has excited many scholars, is Imam Ali (PBUH)'s style in Kumail prayer. This unique style with its explicitness of meaning and good taste uses repetitive and eloquent words to intensify the impression on reader's soul; and changes the way of speaking from declarative to interrogative and from interrogative to exclamatory and has other technical features which altogether, bring it to the top of eloquence. In this style, words are not only eloquent, but also true and full of sentiment. This prayer shows that Imam (PBUH) insisted on two aspects which are the pillars of eloquence and no text can be consolidated without them and the writer/speaker can't transfer what he needs to his reader/listener without them. The first pillar is meaning. Imam (PBUH)'s employment of the figures of meaning such as figurative language, metonymy, simile, metaphor, allegory and declarative and interrogative expressions is not euphuistic. He has used them naturally and in accordance with the meaning transfer needs. The second pillar of Imam (PBUH)'s style is music. Imam (PBUH) has not forgotten the impact of music on the soul of recipient and his sentiment. So, Imam (PBUH) has used balanced, musical, rhythmic phrases, which are completely compatible with the prayer. He hasn't used any unusual word which is unfamiliar to the audience. Conversely, his words are nice and fine to which the soul is aimed and is encouraged to profit. The method of this study is descriptive- analytic.

Keywords: Kumail Prayer, Rhetorics, Figures of Speech, Embellishment, Rhetorical Style

الملخّص:

لعبت الأساليب البلاغيّة منذ زمن قديم حتّى يومنا هذا، دورا بارزا في الأدب العربيّ برمّته إذ الأدباء عبر هذه الصّور سعوا أن يكثروا من جمالية آثارهم وأساليبهم على شكل واسع للتّأثير على روح المخاطب ومن هذه الأساليب الّتي قد نالت إعجاب عدد كبير من الباحثين، أسلوب الإمام عليٍّ عليه السّلام في دعاء كميل إذ إنّه فذٌّ طريّ تتوفر فيه صراحة في المعنى وسلامة في الذّوق يكثر فيه التّكرار لأجل تقرير الكلام وتأثيره ويتميّز بالمرادفات وباختيار الكلمات الجزلة ذات الوقع في النّفس وتتعاقب فيه ضروب التّعبير من إخبار إلى استفهام إلى تعجب واستنكار ويمتاز بملامحَ فنيةٍ تصل إلى الحد الأعلى والمقام الأسنى في البلاغة، وما كان أسلوبه عليه السّلام قطُّ مجرد ألفاظ ليس تحتها معنى بليغ بل هي كلمات تضمّ في طيّاتها الصدق، والوجد، والعاطفة ؛ويظهر في هذا الدّعاء أنّ الإمام عليه السّلام إهتمَّ إلى جانبين اساسيين اللذين هما ركنان في البلاغة ولا يستقيم الكلام بدونهما ولا يمكن للمتكلم أن يوصل بعد إقصائهما وإبعادهما ما ينوي إيصاله لسامعه، أوّل هذين الجانبين المعنى حيث إنّ الإمام عليه السّلام كلامه يضمّ في طيّاته الصّدق والعاطفة ولم يستخدم الصّناعة البلاغيّة من مجاز وكناية وتشبيه واستعارة وتمثيل وإخبار وإستفهام على حساب المعنى ولم يأت بها

تكلّفا وتحميلا بل وردت عفويّةً لخدمة المعنى والعناية به، وفي الرّكن الآخر لم يغفل الإمام عليه السّلام الموسيقى ومالها من دور وأثر بليغ على نفس المخاطب وشعوره؛ فقد جعل الإمام عليه السّلام عباراته متوازنة، ذات موسيقى وإيقاع ورنين ينسجم تماما مع الدّعاء.كذلك الإمام تحاشى في كلامه إستعمال الغريب وما تنبو منه الأذن بل كلامه رقيق ولطيف تشتاق له النّفس وتدعو للتزوّد منه وأخيرا خليق بالذّكر بأنَّ منهج هذا البحث يركن إلى المنهج الوصفي، التّحليلي.

الكلمات المفتاحيّة: دعاء كميل، البيان، المعاني، البديع، الأسلوب البلاغيّ.

1-المقدّمة

في مفتتح الكلام حريٌّ بالذّكر بأنّ ثمة عددا لا يحصى من الآثار الأدبيّة البلاغيّة قد وصلت إلى العصر المعاصر بمختلف الطّرق ومن هذه الآثار يمكن التّلويح إلى دعاء كميل للإمام علي(ع)حيث كان يختزن عبر العصور كنزا أدبياً وبلاغياً طريفاً، وفي حقيقة الأمر أنّه لم يَزل يُلفت أنظار عدد كبير من الأدباء والباحثين ذلك بأنّه ينطوي على أسلوب طريف وأخّاذ ومن الأساليب الهامّة الّتي نُفض الغبار عنها في هذه الدّراسة لهذا الدّعاء، هي جماليّة أسلوب الإمام على(ع) البلاغيّ إذ برز أنّ أسلوبه يتّسم بالصّراحة والوضوح في المعاني مع التّكرار المستمرّ الهادف إلى تقرير الكلام مع تأثيره في أسماع القارئين وهكذا أنّ هذا الأسلوب يجمع بين دفيته كافّة أنواع ضروب التّعبير البلاغيّ كما بانَ في هذه الدراسة، بعد الاستقراء في الدّعاء، أنَّ استخدام الإمام علي(ع) لهذه الضروب من تشبيهات واستعارات وإلخ لم توظّف تحميلا وتكلّفا بل ظهر أنّها وردت عفوالخاطر من أجل خدمة المعنى والتأكيد عليه تجلّى أنّ الإمام على فقد ذكر جملاته متوازنة ذات موسيقى وإيقاع رنين لكي يؤثّر على شعور المخاطب.

الأسئلة والفرضيّات:

لماذا وظّف الإمام علي(ع) ضروب الفنون البلاغيّة هذه؟

ما الأسلوب الّذي اتّبعه الإمام علي(ع) في هذا الدّعاء؟

بماذايتميّز أسلوب الإمام علي(ع) في هذا الدّعاء؟

بناء على هذه الأسئلة التي ذُكرت، يُسعى إلى إثبات الفرضيّات التّاليّة:

- استخدم الإمام علي (ع) كافّة أنواع الفنون البلاغية للوصول إلى الصّور الحسيّة ذات الأثر البليغ على المتلقّين في النّفس والشّعور.
- الأسلوب المتّبع في هذا الدّعاء خلافا للخطب الجاهليّة والأشعار، هوأسلوب القرآن الكريم.
- تميّز أسلوب الإمام علي (ع) بالجزالة والصّراحة في المعاني والإكثار من الفنون البلاغيّة والاتّسمام بالمعاني القرآنيّة.

خلفيةُ البحثِ:

في هذا المقام من البحث حريٌّ بالذكر في أنّ ثمّة عدداً كبيراً من البحوث والدّراسات عالجت دعاء كميل للإمام على (ع) وفي الواقع أنّ هذه الدّراسات برمتها تتعلّق بالشّرح والتّرجمات حيث لا حاجة لذكرها في هذا الجانب من بحثنا. كما لا نرى أيّ إمارة في هذه البحوث عن الصّور البلاغيّة وجمالياتها على الإطلاق فهذا الموضوع على حدّ ذاته يعدّ بحثاً جديداً غير متناول ومدروس من ذي قبل.

الف- التّعريف بدعاء كميل:

قال السّيد بن طاووس في رواية ما لفظها: قال كميل بن زياد كنت جالسا مع مولاي أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد البصرة، ومعه جماعة من أصحابه فقال بعضهم:

ما معنى قوله عزوجل: [فيها يفرق كلُّ أمر حكيم] (سورة الدخان44: الآية 4)؟

قال عليه السلام: ليلةُ النصف من شعبان، والذي نفسُ عليٍّ بيده أنه ما من عبد إلا وجميع ما يجري عليه من خير وشر، مقسوم له في ليلة النصف من شعبان إلى آخر السنة في مثل تلك الليلة المقبلة وما من عبدٍ يحييها، ويدعو بدعاء الخضر عليه السلام إلا أجيب له فلمّا انصرف طرقته ليلا فقال عليه السلام: ما جاء بك يا كميل؟ قلت يا أمير المؤمنين: دعاء الخضر.

فقال: اجلس يا كميل إذا حفظت هذا الدعاء فادعُ به كل ليلة جمعة، أو في الشهر مرة، أو في عمرك مرة تكفَ وتُنصَر، وتُرزَق، ولن تعدم المنفعة.

يا كميل: أوجب لك طول الصحبة أن نجود لك بما سألت ثم قال: أكتب: «اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء» إلى آخر هذا الدعاء المبارك. (بحرالعلوم، 1402 هـ: صص87-88)

ب-**التعريف بالبلاغة:**

قال ابويوسف اللسكاكى: هي بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حدّا له اختصاص بتوفيره خواصّ التراكيب منها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها، ولها، أعني البلاغة طرفان: أعلى وأسفل، متباينان تباينا لا يتراءى له نارهما، وبينهما مراتب، تكاد تفوت الحصر، متفاوتة، فمن الأسفل تبتدئ البلاغة، وهو القدر الذي إذا نقص منه شيء التحق ذلك الكلام بأصوات الحيوانات، ثم تأخذ في في التزايد متصاعدة إلى أن تبلغ حدا لإعجاز عجيب يُدرك ولايمكن وصفه، ماستقامة الوزن: تُدرك ولايمكن وصفها، وكالملاحة.(السكاكي، 1407هـ: ص416)

قال أبو هلال العسكريّ في ضرورة البلاغة: "اعلم أن أحقّ العلوم بالتعلم، وأولاها بالتحفظ-بعد معرفة الله جلّ ثناؤه-علمُ البلاغة، والفصاحة". (العسكري، 1319هـ: ص1)

وقال أيضا في تعريفها: "البلاغة من قولهم: بلغتُ الغايةَ إذا انتهيت إليها وبلَّغتُها غيري. ومبلغ الشيء: منتهاه.و المبالغة في الشيء: الانتهاء إلى غايته. فسميت البلاغة بلاغة لأنها تُنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه". (أنظر المصدر نفسه: ص6)

وكذلك قيل عن البلاغةِ: البلاغةُ تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كلِّ كلام للموطن الذي يقابله فيه، والأشخاص الذين يخاطبون.

فليست البلاغة قبل كل شيء إلا فنا من الفنون يعتمد على صفاء الإستعداد الفطري ودقة إدراك الجمال، وتبين الفروق الخفية بين صنوف الأساليب، وللمرانة يد لا تجحد في تكوين الذوق الفني، وتنشيط المواهب الفاترة.

وليس هناك فرق بين البليغ والرسام إلا أن هذا يتناول المسموع من الكلام، وذلك يشاكل بين المرئي من الألوان والأشكال، أما في غير ذلك فهم سواء، فالرسام إذا هَمَّ برسم صورة فكر في الألوان الملائمة لها، ثم في تأليف الألوان بحيث تختلب الأبصار وتثير الوجدان، والبليغ إذا أراد أن ينشيء قصيدة أو مقالة أو خطبة فكر في أجزائها، ثم دعا إليه من الألفاظ والأساليب أخفها على السمع، وأكثرها اتصالا بموضوعه، ثم أقواها أثرا في نفوس سامعيها وأروعَها جمالا. (الجارم، أمين، 1320 هـ: صص8-9)

2- علم البيان في دعاء كميل

الف-البيان: هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه. (التفتازاني، 1431 هـ: ص281) مباحثه: التشبيه-المجاز-الكناية.

1-2-الإستعارة: الإستعارة في الفكر البلاغيّ العربيّ مبالغةٌ في التشبيه أو هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه (السكاكى، 1407: ص599) ما يخص المشبه به (السكاكي، 1407هـ: ص368). وتركيب الإستعارة يحمل معنيين اثنين أو دلالة مزدوجة: دلالة حرفية وهي كاذبة ودلالة مجازية هي المقصودة بأسلوب التشبيه ويستمد البلاغيون القدامى تعاريفهم لاستعارة من هذه النظرية فالإستعارة ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له.

قوله عليه السلام: "بسم الرحمن الرحيم" الباء في البسملة الشريفة تحتمل معنيين: الإستعانة والإلصاق، فإذا جُعلت الباء للإستعانة يكون في الكلام إستعارة مكنية تبعية لتشبيهها بارتباط يصل بين المستعين والمستعان به؛وإذا جُعلت الباء للإلصاق فيكون في الكلام مجاز علاقته المحلية نحو: مررت بزيد أي بمكان يقرب منه زيد لا نفسه.

قوله عليه السلام: "برحمتك التي وسعت كل شيء"إستعارة لأن السعة لا توصف بها إلا الأجسام والرحمةُ عَرَضٌ من الأعراض (والمراد أن رحمتي لا تضيق عمن استرحمني بأنابة بعد معصية وتوبة بعد خطيئة وإنما قال ذلك لئلا يقنط الجارم أو ييأس المذنب فيحجم عن التوبة ويذهل عن الإستقالة. (الشريف الرضي، 1984م: ص78)

قوله عليه السلام "بقوتك التي قهرت بها كل شيء وخضع لها كلُّ شيء وذل لها كل شيء"

هذا التعبير يدخل فيه العقلاء وغيرهم، فالخضوع والذل لذوي العقول حقيقة أمَّا لغير ذوي العقول فمجاز (إستعارة) وبيانها؛ أنه سمَّى مطاوعة هذه الأشياء المُعدَمة الحس والعقل لله تبارك وتعالى فيما يحدث فيها من أفعاله ويجريه عليها من تدبير وتسخير لها بالخضوع والذل، تشبيها لمطاوعتها بإدخال أفعال المكلَّف في باب الطاعة والإنقياد.

قوله عليه السلام: "بعزتك التي لا يقوم لها شيء"

شبه عزته تبارك وتعالى بالملك الجبار الآخذ بنواصي الإمور والمحيط بما يدور وإنَّ ذلك الملك لعزِّه وجلاله وهيبته إذا قطع أمرا امتثل الجميع لما عقد ولم يكن لأحد من جلسائه وحاشيته أن يقوم من مقامه فيعارض أو يخالف شيئا مما أمر وأبرم؛وهذا من بديع الإستعارة التمثيلية التي تأخذ على السامع لبَّه وتجعل فكره يسرح في الخيال ويرى عزة الله تبارك وتعالى رأيَ العين ثَمَّ تدعوه نفسُه أن يتوب ويخشى من جلاله تبارك وتعالى أو يمضي فيما عزم عليه من طاعة واستقامة.

قوله عليه السلام: "بعظمتك التي ملأت أركان كل شيء"

فيه استعارة مكنية حيث شبه العظمة بالنور ثم حذف المشبه به وهو النور واكتفى منه بذكر أحد لوازمه، أو استعارة تمثيلية، وترى أن هذه الإستعارة تحلِّق بك في عالم الخيال، وتُعرض عليك أشكالا من صور البيان الرائعة وحتَّى تُدرك فضل الإستعارة التمثيلية بثاقب فكرك إليك كلام الزمخشري فارس ميدان البلاغة حين يتحدث عن قوله تعالى: "ولمّا سكت عن موسى الغضب"يقول: هذا مثل كأنَّ الغضب كان يُغريه على فعل ويقول له: قل لقومك كذا، وألق الألواح، وجُرّ برأس أخيك إليك ثم يُعلق على قرآة معاوية بن قرة حيث قرأ: « ولما سكت عن موسى الغضبَ»؛بنصب الغضب، فيقول: لا تجد النفسُ عندها شيئا من تلك الهزة وطَرفا من تلك الروعة، وبهذا يتبين لك جمال الإستعارة. (الزمخشري، 2009م: ص389)

وحسن الإستعارة المكنية يكمن في جعل الشيء مصورا بما يعجب، فيصور الحياة في الجماد، ويجسد المعاني، ويشخصها كأظفار المنية، ويد الشمال، وأنف العشيرة، وهذا التصوير له سرّ في النفوس، وأثره في العقول، والذي يثبت هذا الأثر أن هذه القرائن على معانيها الحقيقية فحينما نسمع: شجاع يفترس أقرانه، تصورنا هذا الشجاع في صورة الأسد، وشكله، وضخامته، وقوته، وهذا هو سر جمال الإستعارة بالكناية.

قوله عليه السلام: "و بسلطانك الذي علا كل شيء"

تمثيل لقهره وقوته وأنه قد أحاط بكل شيء علما وقوة ولايمكن لأحد الفرار من قهره وسيطرته.

قوله عليه السلام: "اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء"

فيه استعارة إذ إنه شبه منع الاستجابة بالحبس ثم اشتق من الحبس، تحبس بمعنى تمنع على طريق الإستعارة التبعية.

وقوله عليه السلام: "اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء"

جعل الذنوب بمنزلة العدو المبغض الذي ينزل بصاحبه أنواع الهموم والبلاء على نحو الإستعارة المكنية.

قوله عليه السلام: "خفي مكرك"

إستعارة لأن حقيقة المكر عندهم إظهار خلاف الإضمار على طريق الغيلة والإحتيال وهذا لا يجوز على الله تعالى فإذا المراد به إرسالُ العقوبة على المستحق من حيث لايشعر أو من حيث يأمن ولا يحذر. (الشريف الرضي، 1984م: ص75)

وقيل: المكر من الله تعالى الجزاء. وسمي باسم المكر المجازي كما قال تعالى: «و جزاء سيئة سيئة مثلها» ؛فالثانية ليست سيئة في الحقيقة، ولكنها سميت كذلك لأزدواج الكلام.

وقيل: مكر الله إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه.

ويجوز أن يكون إستعارة تمثيلية.

قوله عليه السلام: "وبنور وجهك الذي أضاء له كل شيء"

وارد على سبيل الإستعارة التمثيلية أي أقسم عليك بنور وجهك الذي خرج لأجله كلُّ شيء من ظلمة العدم إلى نور الوجود، كأنَّ الأشياء لمَّا كانت معدومة لم تكن ذات نور كى ترى فلما غمرها نور الله أضاءت بذلك وخرجت عن العدم.

قوله عليه السلام: "و أنزل بك عند الشدائد حاجته"

إستعارة تصريحية حيث شبه الحاجة بالشيء المعلَّق فينزل ويوضع في محلَّه وموضعه.

«عظم» في"و عظم فيما عندك رغبته" بمعنى زاد على سبيل الإستعارة التبعية.

قوله عليه السلام: "اللهم لا أجد...غيرك"

استعارة لأن الله سبحانه ليس مستقرا في مكان بل المعنى لا أجد غيرك قريبا ليغفر ذنوبي وأراد القرب المعنوي لا المادي.و يجوز أن يكون استعارة تمثيلية حيث شبّه من فقد شيئا ثمينا وأخذ يبحث عنه بالشخص الذي يبحث عمن يستطيع أن يغفر له ذنبه؛لأن الله تبارك وتعالى ليس يشغل مكانا ويخلو من مكان.

قوله عليه السلام: "كم من مكروه دفعته"

من التشخيص لأن نفس المكروه لا يُدفع وإنما يُدفع الأمر الذي يُكره وعلى هذا النمط قوله تعالى: «فهم في شك يلعبون» جعل الشك بمنزلة الساحة التي يُلعب بها؛ وأيضا « جاءت إحداهما تمشي على استحياء» لأنه جعل الإستحياء كالأرض التي موضع الأقدام؛وهذا من جميل الفن وبديع الكلام.

قوله عليه السلام: "كم من جميل لست أهلا له نشرته"

جعل الجميل كالمسك والرائحة التي تتضوع وتنتشر في الفضاء؛ثم حذف المشبه به وأبقى لازمه على طريق الإستعارة بالكناية ؛ولازم المشبه به إستعارة تخييلية.

قوله عليه السلام"كشف الضر"

وارد على سبيل الإستعارة التصريحية التبعية، لأنه شبه إزالة المرض بالكشف بجامع السلب في كلٍّ.

قوله عليه السلام: "إدخالك إياي في سعة رحمتك "

من التجسيم العقلي لأنه شبّه عليه السلام الرحمة بحصن منيع لا يرام وشبّه الذنوب بالعدو المحيط بصاحبه وهذا العبد لا يمكنه التفلت والخلاص من ذلك العدوّ الطالب له إلا بعد أن يشرع له باب الحصن ويلجه.

في قوله عليه السلام: "وفكني من شد وثاقي"

على سبيل الإستعارة التمثيلية؛لأنه شبَّه حال الإنسان الذي ارتكب الذنوب والمعاصي وتعوَّد عليها وغرق في لجة بحرها، بهيئة الأسير الذي قد أوثق بالحبال وكبِّل بها لأن الإنسان إذا اعتاد إتيان شيء تعسّر عليه الإقلاع عنها، كذلك الذنوب والمعاصي من تعودها لا يستطيع أن يتركها فهو أبدا أسيرها.

قلوب اعترفت بإلآهيتك محققة: شبّه تمكن الإيمان الحق في قلب الإنسان بالإعتراف فكأنما القلوب لشدة إيمانها تصرخ بذلك معترفة به.

«ما لا تقوم له السماوات » إستعارة تمثيلية الغرض منها أن هذا العذاب لو القي على عاتق السماوات مع عظمها وعجيب خلقها لكانت عاجزة عن تحمله فكيف بي أنا مع ضعفي وقلة قوتي؟

و يسمى هذا الضرب من الإستعارة التمثيلية «تخيلية» لأنها منتزعة من عدة أمور متخيلة مفروضة لا تحقق لها في الخارج ولا في ذهن.و من هذا القبيل قوله تعالى: « إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها».

قوله عليه السلام: «أن تجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة»، جعل الأوقات معمورة إستعارة لأنه شبه الأوقات بالمنازل المعمورة ثم حذف المشبه به وأبقى لازمه على سبيل الإستعارة المكنية، وقوله عليه السلام «معمورة» استعارة أخرى من نوع المكنية.

اجتمع في جوارك: هذا من قبيل التمثيل إذ ليس المراد أن يجاور الله حقيقة في مكان بل المراد أنهم كرام عند ربهم كحاشية الملك في الدنيا قريبة منه ومن جواره.

1-3-المجاز: هو مفرد ومركب، أما فهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب على وجهٍ يصحّ مع قرينة عدم إرادته، فلابدّ من العلاقة ليخرج الغلط والكناية(التفتازاني، 1431 هـ: 336).

المجاز في قوله"بوجهك الباقي بعد فناء كل شيء" حيث أطلق الجزء وأراد الذات.

فإن قلت: ما السبب في حسن إطلاق الوجه على الذات؟نقول: إنه ماخوذ من عرف الناس، فإن الوجه يستعمل في العرف لحقيقة الإنسان، ألا ترى أنّ الإنسان إذا رأى وجه غيره قال: رأيته، وإذا رأى غير الوجه من اليد والرجل مثلا لا يقول رأيته، وذلك لأن اطلاع الإنسان في أكثر الأمور يحصل بالحس، فانَّ الإنسان إذا رأى شيئا علم منه ما لم يكن يعلم حال غيبه، لأن الحس لا يتعلق بجميع المرئي وإنما يتعلق ببعضه، ثمَّ إن الحسّ يدرك والحدسّ يحكم، فاذا رأى شيئا بحسه يحكم عليه بأمر حدسه، لكن الإنسان إجتمع في وجهه أعضاء كثيرة كلٌّ واحد يدلُّ على أمر، فإذا رأى الإنسان وجه الإنسان حكم عليه بأحكام ما كان يحكم بها لولا رؤيته الوجه، فكان أدلَّ على حقيقة الإنسان وأحكامه من غيره، فاستعمل الوجه في الحقيقة في الإنسان ثمَّ نقل إلى غيره من الأجسام، ثمَّ نقل إلى ما ليس بجسم، يقال في الكلام: هذا وجه حسن وهذا وجه ضعيف. (الفخر الرازي، 1981م، جزء29: ص 107 تفسير قوله تعالى ويبقى وجه ربك ذى الجلال والاكرام)

غلب قهرك: مجاز عقلي حيث أسند الغلبة إلى القهر وإنما هو سبب فيه.

المجاز العقلي في قوله "اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم "حيث أسند الهتك إلى الذنوب وإنما هي سبب في ذلك. ولهذا المجاز طلاوة وجمالية فائقة وقَدْ قَالَ فِيهِ عبدُ القاهِرالجرجاني: "هَذَا الضَّربُ مِنَ المَجَازِ عَلَى حدَّتِهِ, كَنْزٌ مِنْ كنُوزِ البَلاغَةِ, ومادةُ الشَّاعر المفلقِ, والكاتبِ البَليغِ فِي الإبداعِ والإحسَانِ والاتِّساعِ فِي طَرِيقِ البَيَانِ".

المجاز المركب في قوله عليه السلام: "أن تجعلني في جميع الأمور متواضعا"؛و"أن تجعلني بقسمك راضيا قانعا"إذ إنَّ صيغة الأمر في هذا خرجت عما وضعت له واستعملت في معنى الدوام والإستمرار كقوله تعالى "إهدنا الصراط المستقيم "أي ثبتنا على الصراط المستقيم الذي هو ملة الإسلام.

المجاز في قوله: "منك عليَّ" لأنه أستعمل «على» للاستعلاء مجازا وهذا نحو قوله تعالى حكاية عن موسى: ولهم عليّ ذنب.

لا إله إلا أنت: مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ، والعلاقة السببيِّة؛لأنّ توحيد اللسان مُسبَّب عن توحيد الجنان والتعبير ب «لا إله الاأنت» عن الوحدانية من مجاز التعبير عن المقول فيه. (السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج2: ص82)

المجاز في قوله (الذكر) و(المنّ) في"تجرأت بجهلي وسكنت إلى قديم ذكرك لي ومنّك عليّ" حيث استعمل الأول بمعنى الإنعام والثاني بمعنى الإحسان وهو في الأوّل من باب ذكر السبب وأرادة المسبِّب لأنَّ ذكرَ الله لك إنعامٌ منه عليك أو لأن ذكره لك سبب في إنعامه عليك؛و في الثاني من باب اطلق المسبِّب وإرادة السبب لأن من أحسن إليك يحقُّ له أن يمنّ عليك.

المجاز العقلي في قوله "وخدعتني الدنيا بغرورها" أي أنَّه أسند الخداع إلى الدنيا وإنما ذلك الخداع من فعل من فيها.

خروج الهمزة من معناها الحقيقي الذي هو: «طلب العلم بشيءٍ لم يكن معلوما من قبل» إلى معنى الاستبعاد والتعجب والإنكار في قوله: « أتراك معذبي.....».و يجوز أن يحمل أنّه من باب تجاهل العارف الذي هو من المحسنات البديعية لنكتة الوله والدهشة، أنهما بلغا حدا لا يعرف الداعي المتحسِّر بهما شيئا.

قوله «صدق اعترافي» أسند الصدق إلى الإعتراف وإنما هو لصاحب الإعتراف على طريق التوسع في الكلام، أي بعدما كنت صادقا فيما اعترفت به.

الغضب إذا استعمل لله باعتبار معنى« ثَوَران دم القلب إرادة الإنتقام» فمجاز لأن هذا المعنى بهذا الإعتبار محال على الله عزّوجلّ.

السخط إذا استعمل لله بإعتبار معنى « الغضبُ الشديد المقتضي للعقوبة» فمجاز لأن إرادة المعنى هذا لله سبحانه وتعالى محال.إذ الغضب والسخط بهذا الإعتبار مما يتصف به المخلوقون دون الخالق تعالى.

المجاز في قوله: " كيف أصبر على فراقك"و بيانه أنه لا يستطيع تحمل الطرد من باب رحمته فالمراد بالفراق، أن يحيل دون العبد ورحمة الله حائل؛لأنّ الثابت بالآيات المحكمة أنه لايرى كما قال تعالى: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار.

أو أنه تمثيل شبه حاله بحال العاشق الذي يتجشم كلَّ الصِّعاب كي يظفر برؤيةٍ مِن محبوبه.

أو أنه مجاز عن فراق أولياءه والأصل كيف أصبر عن فراق أولياءك ثمّ عدل عن ذاك وقال: فراقك لأن هولاء الأولياء منتسبون إليه فمن أحبهم فقد أحب الله إذ إنَّه من أحب شيئا فقد أحب آثاره. قال الشاعر في معنىً قريب من هذا:

أمر على الديار ديار سلمى ***أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

و ما حبُّ الديار شغفن قلبي***و لكن حبُّ من سكن الديارا.

فإن قلت: كيف نفيت الرؤية وقد ورد في الكتاب العزيز ما ظاهره يثبتها؛ نحو قوله تعالى: « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون؟» وأيضا«وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة؟»

قلت: هذه الآيات كلُّها من المتشابه ولابد من ردها إلى قوله تعالى « لاتدركه الأبصار وهو يدرك الابصار». ثمّ إنِّ المقصود بقوله «كلا إنهم عن ربهم لمحجوبون» هوالتمثيل وقصد به الإستخفاف بهم وإهانتهم لأنّه لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء المكرمين لديهم، ولا يحجب عنهم إلا الأدنياء المهانون عندهم. قال:

و إذا اعتروا باب ذي عيبة رجبوا. (الزمخشري، 2009م: ص1188)

والجواب عن قوله: «إلى ربها ناظرة» هذا يحمل على معنى الرجاء والتوقع، كما تقول الناس: أنا إلى فلان ناظر مايصنع بي. (المصدر نفسه: ص1162)

كرامتك: مجاز عن الجنة إذ الكرم والتكريم سبب في الدخول إليها.أولأنّ المرء يُكرم فيها.

«تؤلمه النار»: مجاز عقلي أسند فيه إيجاد الألم والإحساس به إلى النار؛والحال ليست هي ما تفعل هذا به بل هي سبب ذلك.

«يشتمل عليه زفيرها»: أسند الزفير إلى النار والحالُ هذه أن الزفير يصدر ممن تُطبق عليه النار وتؤلمه وصحّ ذلك لأنّ النار سبب له.

وهذا من قبيل قوله تعالى: «وآتينا ثمود الناقة مبصرة» حيث جعل الناقة مبصرة لأنها سبب أن يُبصَر بسببها لأنها الآية البينة الدالّة على صحة نبوة صالح عليه السلام.

و كذلك قوله تعالى: «فلما جائتهم آياتنا مبصرة»، وقوله: «النهار مبصرا».

«تقدّست أسماؤك»: المراد بالأسماء المسمى وهذا مجاز لغوي.أو على زيادة لفظ «أسماء» أي تقسدت.كما ورد في تفسير الجلالين عند قوله تعالى: «سبح اسم ربك »، قال «اسم » زيادة لكن لما أسند الفعل إلى الأسماءجاء بتاء التأنيث مطابقة للفظ، ويمكن حمل العبارة على الحقيقة. (السيوطي والمحلي، 1434 هـ: ص591)

جلّ ثناءوك: أسند الجلال إلى لفظ«ثناء»على سبيل المجاز في الحكم إذ الجلال لصاحب الثناء لا للثناء نفسه.

خروج صيغة الأمرعن معناها الحقيقي واستعمالها مجازا في الدعاء نحو: «قوِّ على خدمتك»، و«أشدد»، و« هب لي الجد»، العدول عن أسلوب الخبر في الكلام والمجيء به بصيغة الأمر يحمل معانى لا تتحق في غيره من الأساليب وفيه زيادة فائدة.فمثلا أنك

أردت أن تنهى شخصا عن شيء ما فقلت له: لا تخالفني في كذا أمر كان ذلك أقلّ جمالا ونفاذا من قولك مهددا له: إفعل كذا فسوف تعلم.

1-4-الكناية: هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره بالفظ الموضوع له ولكن يجيء إلى معنى هو مرادفه فيوميء به إلى المعنى الأول ويجعله دليلا عليه" (الهاشمي، 1388هـ: ص360)

الكناية في قوله «يا أول الأولين ويا آخر الآخرين »وهي كناية عن الوجود المطلق الذي لا يشوبه عدم.

يانور: كناية عن أنه هاد لأهل الأرض والسموات.

قوله عليه السلام: «اللهم إني أتقرب أليك بذكرك»كناية عن تخصص العبد بكثير من الصفات التي يصح أن يوصف اللهُ تعالى بها وإن لم يكن وصفُ الإنسان بها على الحدِّ الذي يوصف الله تعالى بها نحو: الحكمة والحلم والعلم والرحمة والغنى وذلك يكون بإزالة الأوساخ من جهل وطيش وغضب وحاجات بدنية بقدر طاقة البشر وذلك قرب روحاني لا بدني، وعلى هذا نبَّه عليه الصلاة والسلام فيما ذكر عن الله تعالى: « من تقرّب إليّ شبرا تقربت إليه ذراعا » وقوله « ما تقرب العبد إلي بمثل أداء ما افترضت عليه وإنه ليتقرب إلي بعد ذلك بالنوافل حتّى أحبَّه. (الأصفهاني، 1428 هـ: ص401)

قوله «أستشفع بك إلى نفسك» تجريد كأنه عليه السلام جرّد منه شيئا آخر وجعله شفيعا مبالغةً في طلب العفو.كقول الإمام زين العابدين عليه السلام: « وأنا يا سيدي عائذ بفضلك، هارب منك إليك».و هذا يشبه ما روي عن حاتم حيث سأله سائل «أنا الذي أحسنت إلي يوم كذا» فقال «مرحبا بمن توسل بنا إلينا».

«وجمعت بيني وبين أهل بلائك، وفرّقت بيني وبين أحبائك وأوليائك.» كناية عن أنني أصبحت جهنميّا.

قوله عليه السلام: «وأسألك بجودك أن تدنيني من قربك» كناية عن بُعد العبد عن ربِّه بمعاصيه لا البعد المكاني كما بيناه.

القرب من الله: كناية عن التخلق بأخلاق الله تبارك وتعالى والإتصاف بصفاته.و معنى قوله «أن تدنيني من قربك»: أي أسألك أن تساعدني حتى أتمكن من التخلق بأخلاقك وأتصف بصفاتك.

علا مكانك: كناية عن الإحاطة التامة بجميع المخلوقات لأنّ في الفوقية معنى الإحاطة.

و قوله عليه السلام: «ولا تفضحني بخفي ما اطلعت عليه من سوء فعلي...»كناية عن الخذلان وعدم اللطف لأنّ الله تبارك وتعالى إذا لم يلطف بالعبد إفتضح وهلك.و هذا الأسلوب كثير الورود في القرآن الكريم؛كقوله تعالى: «فمنهم من هدى الله أي لطف به لأنّه من أهل اللطف، ومنهم من حقّت عليه الضلالة أي ثبت عليه الخذلان وترك اللطف لأنّه عُرف أنه ليس أهلا للطف».

من لي غيرك: كناية عن تمام قدرة الله وأن لا أحد يستيطع تحويل حال لي ولا أحد قادر على أن يجيرني إلا الله، هذا كما قال تعالى: "ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضرّ هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمة ربي قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون".

وقوله عزوجل: "ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل لها من بعده وهو العزيز الحكيم".

الكناية في قوله عليه السلام" اتبعت هوى نفسي" أي آثرت الملاذ والشهوات على الطريق القويم والسبيل السديد.و هو أيضا إستعارة مكنية حيث شبّه هوى النفس بالقائد المضِّل الذي يدعو الآخرين إلى نهجه ومحجته المهلكة.

والكناية في قوله تعالى "وأسعده على ذلك القضاء" أي أن حكمك بأن يكون الإنسان مختارا وأن يكون عدوي إبليس على هيئةٍ بحيث يراني ولا أراه أسعده وأمكنه من خداعي فإنه لو كنت مضطرا لا خيار لي أو لو لم يكن هو على هذه الهيئة لما تمكن من خداعي.

بدء خلقي: كناية عن خلقة آدم عليه السلام كما قال: وبدأ خلق الإنسان من طين أي خلق آدم عليه السلام من طين وجعل خلق آدم خلق له لأنه السبب في ذلك وقوله «بدء ذكري »كناية عن خلقتي وبذلك استطعت أن اكتسب ذكرا بعد أن كنت نسيا منسيا.

أوطان تعبدك: كناية عن المساجد والبقاع المباركة.

قوله عليه السلام "وهو يناديك بلسان أهل التوحيد": كناية عن الأنبياء والصالحين من الأمم.

ب: المعاني في دعاء كميل

المعاني: هوعلم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال. وينحصر في ثمانية أبواب: 1-أحوال الإسناد الخبري.2-أحوال المسند إليه.3-أحوال المسند.4-أحوال متعلقات الفعل.5-القصر.6-الإنشاء.7-الفصل والوصل.8-الإيجاز والإطناب والمساوات. (التفتازاني، 1387ش: ص18)

التقديم والتأخير في قوله "بسم الله الرحمن الرحيم" تقدم «الرحمن » على «الرحيم» مع أن الرحمن أبلغ من الرحيم ومن عادة العرب في صفات المدح الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقولهم: عالم نحرير؛ إنما عدل لأن «الرحمن» اسم خاص كما ذكر ابن هشام، أو لأنّه لمّا قال: «الرحمن»تناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها، أردفه «الرحيم» كتتمةٍ والرديفِ ليتناول ما دقّ منها ولطُفَ، وما كان من جلائل النعم وعظائمها وأصولها أولى بالتقديم مما يدلّ على دقائقها وفروعها. (صافي، 1995م: ص22)

و أفرد الوصفين الشريفين بالذكر ليستدر كف المنعم.

وفي قوله عليه السلام"بقوتك التي قهرت بها كل شيء" لقائل أن يقول: لو قيل: «بقوتك التي قهرت بها» بدلا من «بقوتك التي قهرت بها كل شيء» لكان أبلغ وأشمل لأنّ عدم التقيد يدل على العموم كما إذا قلت: «زيد يعطي»كان أعمّ من قولك: « زيد يعطي المال»؟

قيل له: ليس كذلك لأنّ قولك هذا يمكن أن يستدعي توهما أنه يقهر من كان يستطيع قهره ولا يستطيع قهر كلَّ شيء، ولكن لما قال«كل شيء» زال هذا التوهم ودخل كلُّ صغير وكبير وكل عزيز وذليل تحت هذا التعبير، ولذلك تراه لم يصف لفظ "شيء" ولم يضف له قيدا فلم يقل كلّ شيء قوي أو موجود وما شابهه ليشمل الموجود والمعدوم.

تكرار المعنى الواحد بألفاظ غير مكررة نحو: «خضع وذل فيه » وهذا الأسلوب من التعبير فيه زيادة بيان وجمالية تنسجم مع المقام.

فإن قيل: إنّ إثبات قوله « قهرت بها كل شيء» للقدرة الإلهية مغنٍ عن ذكر: «خضع لها كلّ شيء» ؟

قيل: ليس كذلك لأنّ كون القدرة قاهرة لكل شيء ليس معناها أن ينقاد لها كلُّ من غلبته بل أنت ترى كثيرا ممن يُغلب يضمر في داخله الأنفة والكبر ومحاولة التخلص ممن قهره ؛إذا هذا القيد«وخضع لها كل شيء» أفاد معنى آخر بأنّ هذه الأشياء التي غلبت لا تفكر استرجاع العزّ بل تيقّنت بأنّها مقهورة أبدا لذلك تواضعت ودانت صاغرة.

ما السر في إستخدام حرف النداء «يا» الذي يدل على البعد؟ قلت: لمّا وجد نفسه متلوثا بما عدّد من الذنوب نزَّل ذلك البعد منزلة البعد في المكان فكأنّه بارتكابه الذنوب قد إبتعد عن ربّه لذلك عبر بحرف نداء يدلّ على البعد.

قوله عليه السلام"اللّهمّ إغفر لي الذنوب التي تهتك العصم، اللّهمّ اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، اللّهمّ اغفر لي الذنوب التي تغيّر النعم، اللّهمّ اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء، اللّهمّ اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء، اللّهمّ اغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء، اللّهمّ اغفر لي كلّ ذنب أذنبته، وكلّ خطيئة أخطأتها" تكرار «اغفر» يفيد التأكيد وفيه إظهار لتضرع الطالب حتّى يسترحم المطلوب منه، وتقديم لفظ الجلالة «اللهم»قبل كل طلب تمهيدا للطلب وهو الغفران والصفح والعفو.

قول عليه السلام: «أنزل بك في الشدائد حاجته» تقديم الظرف«بك» يفيد معنى الإختصاص، أي ما أنزل حاجته إلا عندك.

و قوله: «و عظم فيما عندك رغبته»تقديم «فيما عندك» مؤذن بالإختصاص.

التكرار للمعاني المتقاربة المعنى تفنن بالعبارة وفائدته الترسيخ في الذهن والتأثير بالعاطفة وكذلك تكرار النداء وقوله «أسألك».

هل التكرار يخل بفصاحة الكلام ؟

لا بل هو من أساليب الفصحاء وربّما كان المقام الإتيان به فإن عدلت عن ذلك لم يكن جريك مجاريا لأهل الفصاحة وقد قال صاحب البرهان عن هذا الفن: " قد غلط من أنكروا كون التكرار من أساليب الفصاحة، ظنا أن لا فائدة له؛وليس كذلك بل هو من

محاسنها، لاسيّما إذا تعلق بعضها ببعض، وذلك أنّ عادة العرب إذا أبهت بشيء إرادةً لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصد الدعاء عليه، كرره توكيدا، وكأنّ تكراره مقام المقسّم عليه أو الاجتهاد عليه، حيث تقصد الدعاء وقد ورد هذا الأسلوب في أعلى صورة في كتاب الله عزّ وجل نحو: أولى لك فاولى ثمّ اولى لك فأولى وقوله تعالى: فإنّ مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا.... (الزركشي، لا تأريخ: صص8-9)

تقديم (عنك) في قوله "لا يحجب عنك دعائي سوء فعلي" للإهتمام لانّه يريد أن يقول: ليس يهمني إذا حُجب دعائي عن غيرك إنما يهمني ويشغلني ألا تسمع أنت دعائي.

تقديم المفعول على الفاعل في قوله: « أن لا يحجب عنك دعائي سوء عملي وفعالي»لأجل الإهتمام والعناية؛قال سيبويه: وإن قدمت المفعول وأخرت جرى اللفظ كما جرى الأول، وذلك قوله: ضرب زيدا عبدُالله، لأنك أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما، ولم تشغل الفعل بأول منه، إن كان مؤخرا وهو عربي جيد كثير كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم. (سيبويه، 1990م، ج1: ص24)

ومثّل النحويون لذلك: إن معنى ذلك أنّه قد يكون من أغراض الناس في فعل ما، أن يقع بإنسان بعينه، ولا يبالون من أوقعه؛ كمِثل ما يُعلم من حالهم، في حال الخارجيّ يخرج فيعيث ويُفسد ويكثر به الأذى، فيُقتل فلا يبالون مَن كان القتلُ منه، ولا يعنيهم منه شيءٌ.فإذا قتل وأراد مُريدٌ الإخبار بذلك، فإنه يقدم ذكر الخارجي فيقول: «قتل الخارجيَّ زيدٌ». ولا يقول: «قتل زيد الخارجي» لأنه يعلم أن ليس للناس، في أن يعلموا أن القاتل له زيد، جدوى وفائدةٌ، فيعنيهم ذكره ويهمهم ويتصل بمسرتهم.ويعلم من حالهم أن الذي هم متوقعون له ومتطلعون إليه، متى يكون، وقوعُ القتل بالخارجي المفسد، أنهم قد كفُوا شرَّه، وتخلصوا منه.ثم قالوا: فإن كان رجل ليس له بأس، ولا يقدر فيه أنّه يقتل فقتل رجلا، وأراد المخبر أن يخبر بذلك، فإنه يقدم ذكر القاتل فيقول: «قتل زيد رجلا»: ذلك لأنّ الذي يعنيه، ويعني الناس من شأن هذا القاتل، طرافتُه وموضع النذْرة فيه. (الجرجاني، 1424 هـ: ص149)

الأدب عند الإمام عليه السلام في خطابه ومناجاته مع الكبير المتعالي، فمثلا عندما يكون القضاء فيه معنى سلبيّ كقوله " وأسعده على ذلك القضاء " يحترس الإمام من إضافة كاف الخطاب إلى الباريء تعالى لكن لمّا كان معناه إيجابيا أتى بها عليه السلام فقال" ولا حجة لي فيما جرى علي فيه قضاءك".

يورد الإمام عليه السلام: لفظ «بعض» في"بعض حدودك وبعض أوامرك" ليهون من الذنب ولم يقل تجاوزت حدودك وأوامرك لئلا يتوهم من يُلتَمس من ساحته العفوُ والصفح أنه ارتكب وأقترف كبير ذنب وعظيم حنث، لأنّ من العادة ومن المتعارف أن المتهم يسعى جاهدا في القول أن يخفف من ذنبه ما استطاع إلى ذلك سبيلا ؛و هذا كله من باب التمثيل لعظيم رحمته تبارك وتعالى وسعة حلمه عزّوجلّ وكأنّ الكلام في هذه الدنيا بين سيّد وعبده لذلك صحّ ما أردنا. وأراد المتكلم من خلال هذا القول إيضاح الصورة لأن الله تبارك وتعالى لا يتوهم ولا يضل، تعالى الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم عن ذلك علوا كبيرا.

تكرار المعاني المتقاربة (معتذراً نادماً منكسراً مستقيلا مستغفراً منيباً مقراً مذعناً معترفاً) ليبين عزمه الراسخ على التوبة بعد ما بدر منه وصدر عنه.

حذف المتعلقات لعدم تعلق الغرض بذكرها ولدلالة المعنى عليها، نحو: معتذرا من ذنوبي، نادما من أفعالي، مسقيلا عثرتي، مستغفرا ربي لذنوبي، منيبا إلى ربي، مقرا بتقصيري، مذعنا بظلمي لنفسي، معترفا بجرمي، وهذا الإسلوب من أساليب الفصحاء فهم تارة يحذفون إذا اقتضى المقام ومرة يطنبون لغرض يستدعيه الحاجة فهم يتفنون بعباراتهم حتى يخرجوا الكلام على اسلوب يستميل المخاطب ولا تنبو عنه الأذن.

قوله (بنارك): أسند النار لله تعالى للتهويل والتفخيم كما قال تعالى: «ناراللهِ الموقدة» لأن النار التي أسجرها الله لأعدائه مهول عذابها مخيف حرها.

قوله عليه السلام "يا كريم ويارب" استخدام فيه لفظ«كريم» المشتق من الكرم وهو الجود والعطاء بسهولة، دلالةً على حث المخاطب على العفو والرحمة والغفران.

إستخدم صيغة المضارع (تعلم ضعفي) التي يفهم منها التجدد والتحول ولم يأت بصيغة تدل على الثبوت نحو(أنت عالم بضعفي) لأن الغالب في الإنسان تحوله من حال إلى أخرى ولا تلزمه حالة واحدة دون غيرها قال تعالى: «الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة».

فإن قلت: لم ذكر الضعف دون القوة ولم يقل مثلا «و أنت تعلم ضعفي وقوتي» وقد أثبت الله له حالة القوة كما بينا؟

قلت: لعلتين كان ذلك، أولهما إن حالة الضعف هي الغالب في الإنسان وثانيهما إن المقمام مقام استرحام واستعطاف فأقتضى أن يظهر ضعفه ولا يستعرض قوته لمن يملك ناصيته ولا يملك هو من دونه حولا ولا قوة.

المكاره: «ال» فيها تعريف للجنس.

فإن قلت: ما فائدة جمع أسماء الأجناس المعرفة تعريف جنس كما هو الحال هنا؟

قلت: لبيان أن ذلك الجنس تحته أنواع.

فإن قلت: مَ فهم إختلاف الأنواع والإستغراق؟ قلت: فهمنا اختلاف الأنواع من الجمع والإستغراقَ من التعريفَ بال الجنسية لا كما هفا العلامة الزمخشري –ولك عالم هفوة_حيث قال في تفسيره لقوله«الحمد لله رب العالمين»متسائلا: لِمَ جمع «العالم»؟ يجيب قائلا: ليشمل كل جنس مما سمي به.«أي أنه جعل الإستغراق مفهوما من الجمع»

وهذا فيه نظر لأن الصحيح أن الجمع يفيد إختلاف الأنواع والتعريف ب«ال» الجنسية يفيد الإستغراق.ذلك لأن اسم الجنس إذا جمع مجردا من «أل» الجنسية دل على اختلاف الأنواع، ثمّ إذا عرف أفاد الإستغراق غيرموقوف على الجمعية.

نسبة العذاب في« عذابك وسخطك وانتقامك» إلى ذاته سبحانه وتعالى وهو القهار الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء للتهويل وتفضيع العذاب لأن العذاب إذا كان من قبل من لا يقهر ولا يجار عليه كان حريا بالعبد أن يتردع قبل وقوع مثل هذا العذاب له.

الغرض من الإستفهام في«لأي الامور اليك أشكو؟»و «لما منها أضج وأبكي؟»تفخيم الأمر والشأن كأنّه قال: لأي شأن إليك أشكو ولأي شأن منها أضج وأبكي؟».وهذا من قبيل المجاز المركب كما مر معناه فيما مضى.

فان قلت: لم فصل بين النداءات الثلاثة الأولى (يا غاية آمال العارفين، يا غياث المستغيثين، يا حبيب قلوب الصادقين) بالواو دون الأخير فقد جاءت بالوصل(ويا إله العالمين)؟ قلت: إشارة إلى الفرق بين ما تقدم من صفاته وهذه الصفة لأن هذه الصفة داخل فيها ما سبقها فهي أشمل.

فإن قيل: كيف صحّ القسم في قوله «أقسمت أن تملأها من الكافرين، من الجنّة والناس أجمعين» من الله عزوجل ؟أعني ما الفائدة من هذاالقسم ؛لأن القسم إن كان منه لقوم يؤمنون به فلاحاجة إليه، وإن كان موجه لمن يجحدونه فلا فائدة منه لأنهم لن يؤمنوا؟

قيل له: إن القسم أسلوب عربيّ لتأكيد الأشياء؛وإن كانت معلومة عند الجميع، أو كانت منكرة عند المخاطب فهو إذن يكلمهم بأساليبهم، أو لأنّ المؤمن يزداد يقينا من ذلك؛و لا مانع من زيادة المؤكدات التي تزيد الإيمان عند العبد، قال تعالى: «و إذا تتلى عليهم آياتنا زادتهم إيمانا».

ج–البديع:

هو علم يعرف به الوجوه، والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة وتكسوه بهاء ورونقا، بعد مطابقته لمقتضى الحال، مع وضوح دلالته على المراد لفظا ومعنىً. (الهاشمي، 1388ش: صص377–378)

و قوله عليه السلام: «برحمتك التي وسعت كل شيء» إقتباس من قوله تعالى: «و رحمتي وسعت كل شيء».

و قوله عليه السلام: "اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كلّ شيء وبقوتك التي قهرت بها كل شَيء"هناك صنعة التهذيب مشهودة حيت ترى المفردات موصوفة بصفات الحسن، لأن كلّ لفظة سهلة المخارج عليها رونق الفصاحة، سليمة من التنافر، بعيدة عن عقادة التراكيب.

حسن البيان: لأنّ السامع لا يشكل عليه في فهم معانيها شيء.

الطباق بين قوله قهر وخضع مما أعطى المعنى رونقا واللفظ زيادة جمال.

قوله عليه السلام "بوجهك الباقي بعد فناء كل شيء" فيه طباق بين الباقي والفناء، وجمال الطباق نابع من أن عرض المتضادات في نسق مؤتلف يثير الإنتباه إلى الإمعان فيشتد رسوخه في النفس وكما قيل إن الضد يظهر بعضه بعضا.

وقوله يا أول الأولين ويا آخر الآخرين إقتباس من قوله تعالى: «هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم »، و«الأول »معناه القديم الذي كان قبل كل شيء، و«الآخر» معناه الذي يبقى بعد كلّ شيء، و«الظاهر» بالأدلة الدالة عليه، و«الباطن» لكونه غير مدرك بالحواس.

قوله عليه السلام: «و أسألك أن توزعني شكرك» إقتباس من قوله تعالى: «و أوزعني أن أشكر نعمتك».

الإقتباس في «و أنزل بك عند الشدائد حاجته» من قوله تعالى: «وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ».

السجع في قوله ؛سلطانك ومكانك وأمرك وقهرك وقدرتك وحكومتك.وهذا من جميل السجع لأن السجع إذا تساوت فقره ازداد جماله.

الطباق في قوله خفي مكرك وظهر أمرك: في هذا الطباق سرّ جمال يدركه كل من أوتي في هذه الصناعة شيئا من الحظ فقد تراه كيف ركز المعنى في الذهن وأظهر الجمال.

صنعة الإشارة في قوله «لا إله إلا الله »لأنها احتوت على معان جليلة كثيرة من تقرير الوحدانية بنفي غيره وإثباته.

-النتائج:

يتميز أسلوب الإمام عليه السلام في هذا الدعاء بعدُ، بصفات:

1- استخدام الفنون البلاغية لاسيما المجاز والكناية والتشبيه والإستعارة والتمثيل للوصول إلى الصور الحسية ذات الأثر البليغ في النفس والوجدان.

2- إقتفائه عليه السلام لأسلوب القرآن الكريم وإتِّباعه والتأثر به فقد يرى القاريء لهذا الدعاء أن الإمام استلهم معظم كلماته من معين الوحي وطرزها وألبسها ثوبا من فصاحة القرآن وبلاغته قدر الإمكان.

3- لم يستعن الإمام عليه السلام في هذا الدعاء المبارك من الشعر والإستشهاد به خلافا لخطب الجاهليين وأسلوبهم بل كان يتبع أسلوب القرآن والإشارة من بعيد أو قريب إلى آيات الذكر الحكيم.

4- كلامه رصين في تعابيره ومتين في تراكيبه يخلو من التلف وتحميل الصنعة.

5- حسن الإبتداء وإيراد من الكلام مما يوافق أسلوب الدعاء ونهجه.

6- تلوين العبارات بذكر المترادفات.

7- إنتقاء المفردات التي تنسجم من الناحية الصوتية فهي أبدا خفيفة على اللسان لا تنبو منها الأذن تتناغم مع العاطفة.

8- كثرة الصيغ الإنشائية من أمر ونهي واستفهام ونداء وقسم وتعجب، لأنها أقوى من الصيغ الخبرية.

9- عباراته جزلة قوية، واضحة ترى فيها الإنسجام بين المفردة والعبارة.

10- كثيرا ما تتساوى فيه الفواصل حفظا على التوازن الإيقاعي والموسيقى، وهذا أسلوب يطرب السامع من سماعه ويهتز من خلاله.

11- الإبتكار والجدة والشمولية تستولي على الدعاء.

12- الإكثار من السجع غير المتكلَّف في الدعاء يضفي روعة على هذا الدعاء القيم والمبارك.

13- يبدو أن كلَّ مقطع لا يتفق مع جاره إلا أنه كلُّ المقاطع تصبُّ في مصلحة الفكرة العامة والرئيسة.
14- الصدق والعاطفة حقيقيانِ غيرُ مصطنعين.
15- ترتيب المعاني التي يريد إظهارها وربط الفقرات بعضها ببعض حتى تبدو كالماء الجاري.
16- تكريم المعاني على الألفاظ كما هو جليّ من دون أن يضعف اللفظ أو يسفّ.
17- عرض نموذجا فريدا من نوعه في أسلوب الدعاء من تكرار مفردات والإلحاح على بعض المعاني والإكثار من أسلوب النداء.
18- طلب الرحمة والإستغفار والإنابة.
19- يعتمد أحيانا على الطباق.
20- الألفاظ ذات أثر متين، كبيرة التأثير، بينة الدلالة على المعنى المقصود، وتتصف بالجزالة وسهولة المنطق وجمال الوقع والقدرة على الإيحاء بالجوّ العاطفي الملائم لمضمونها.
21- المجازات والكنايات في عرض جميل وقالب فريد.
22- يشرق الجمال الفني من خلال تفاعل الخصائص الإيمانية والفنية وتلاحمهما في النص كلِّه.
23- الجرس الموسيقي والإيقاع البديع مما يدركه الذوق.

المصادر:

-القرآن الكريم.
1- الأصفهاني، الراغب، **المفردات في غريب القرآن**، محمد خليل عيتاني، الطبعة الخامسة، دار المعرفة، بيروت، 1428 هـ - 2007م.
2- بحر العلوم، السيد جعفر بن محمد باقر مهدي، **أسرار العارفين في شرح كلام أمير المؤمنين**، الطبعة الأولى، وفا، قم، 1428هـ.
3- بحر العلوم، عز الدين، **أضواء على دعاء كميل**، الطبعة الأولى، بيروت، 1403هـ.
4- التفتازاني، سعد الدين، **شرح المختصر**، الطبعة السادسة، منشورات اسماعليان، قم، 1431هـ.
5- - -، -، **المطول شرح تلخيص المفتاح**، الطبعة الأولى، دارالكوخ للطباعة والنشر، لا مكان، 1387هـ.
6- جارم، على وأمين، مصطفى، **البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع**، الطبعة الثانية، مؤسسة الصادق، طهران، 1320ش.
7- الجرجاني، الإمام عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، شرح وتعليق د. محمد عبدالمنعم خفاجي، الطبعة الأولى، دار الجيل، لا مكان، 2004م-1424هـ.
8- الزركلى، بدر الدين محمد بن عبدالله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق ابو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، لا تأريخ.
9- الزمخشري، ابو القاسم جارالله محمود بن عمرو،)، **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل**، اعتني به وخرج أحاديثه وعلق عليه، خليل مأمون، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، 1430هـ-2009م.
10-السكاكي، أبويعقوب يوسف بن أبي بكر، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، الدار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: 1407هـ.
11- سيبويه، ابو بشر عمرو بن قنبر، **الكتاب**، الطبعة الثانية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1990م.
12- السيوطي، جلال الدين، **الاتقان في علوم القرآن**، ج2.
13- الشريف الرضي، **تلخيص البيان في مجازات القرآن**، تحقيق الدكتور علي محمود مقلد، الطبعة الأولى، : منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1984م.
14- صافي، محمد، **الجدول في اعراب القران وصرفه وبيانه**، الطبعة الثانية، دار الرشيد، دمشق - بيروت، 1995م.

15- العسكري، أبوهلال، **كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر**، الأستانة العلية: محمود بك، لا مكان، 1319هـ.
16- الفخر الرازي، **التفسير الكبير او مفاتيح الغيب**، الطبعة الأولى، طبعة دار الفكر، لا مكان، 1981م.
17- المحلى، جلال الدين محمد بن أحمد والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **تفسير الجلالين**، الطبعة الخامسة، دار ابن كثير، دمشق، 1434 هـ.
18- الهاشمي الأزهري المصري، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، الطبعة الثانية، انتشارات دار الفكر، قم، 1388ش.